

ترجمة مقال NOTICE SUR LEHACHEM DE MASCARA لمترجم الجيش الفرنسي  
لاسبيناس بللمجلة الإفريقية لسنة 1877 العدد 21 من ص 141 إلى ص 151  
Translation of an article by Mascara Hashem Notice, translator of  
the French Army, LESPINASSE, African journal of 1877, N°.21, from  
pp.141 to 151

مجدوب موساوي \*

| تاريخ النشر: 2020/ 08/01                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                            | تاريخ القبول: 2020 / 07 /26 | تاريخ الإرسال: 2020 /07 / 25 |
|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-----------------------------|------------------------------|
| <p><b>ملخص:</b></p> <p>اهتم كثير من الفرنسيين بكتابة تاريخ الجزائر عبر عصورها المختلفة وفي مجالات متعددة؛ إلا أنّ ما وجب أن نشير إليه وهو أن معظم كتاباتهم احتوت في ثناياها على الكثير من السّلبات والنقائص والتصورات المغلوطة والأفكار والأحكام المسبقة خدمة لمصالح بلادهم وأهدافها الاستعمارية؛ منها ما كتبه مترجم الجيش الفرنسي ( LESPINASSE ) بالمجلة الإفريقية في عددها 21 لسنة 1877 من الصفحة 141 إلى الصفحة 150 عن قبائل بني هاشم بمعسكر والذي قمنا بترجمة مقالهم للكشف عن جزء من هذه الحقائق في هذه الكتابات.</p>                                                                                                           |                             |                              |
| <p><b>الكلمات المفتاحية:</b> معسكر؛ بني هاشم؛ لاسبيناس؛ المجلة الإفريقية؛ ترجمة.</p>                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                |                             |                              |
| <p><b>Summary :</b></p> <p>Many French people were interested in writing the history of Algeria through its different eras and in various fields. However, what we must point out is that most of their articles many negative aspects, shortcomings, misrepresentations, ideas, and prejudices. Serving their country's colonial interests and goals; Including what the French army translator Lespinasse wrote in the African Magazine in its 21 for the year 1877 from page 141 to page 150 about the tribes of Bani Hachemes in Mascara, which we translated his article to reveal a part of these facts in this writings.</p> |                             |                              |
| <p><b>Keywords:</b> Mascara; Bani Hachemes; Lespinasse; The African Magazine; Translation.</p>                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                      |                             |                              |

\*مجدوب موساوي، محاضر "أ"، جامعة سعيدة، تاريخ. medjdoub70@yahoo.com

## مقدمة:

إختصرت الدراسات الأوروبية وبصفة خاصة الفرنسية منها: تاريخ الجزائر في جوانب ضيقة وسلبية خدمة لمصالحها وهو ما لمستأه من خلال ترجمتنا لمقال Notice sur le Hachem de Mascara مترجم الجيش الفرنسي (LESPINASSE) الصادر بللمجلة الإفريقية لسنة 1877 في العدد 21 من الصفحة 141 إلى الصفحة 151<sup>1</sup> والذي اخترناه عن قصد للاطلاع على هاته الحقيقة ، فكتب المقال تحدث بشكل سلبي عن قبائل بني هاشم بمعسكر من صراع وتناحر دائم بينهم وبين القبائل المجاورة لهم أو حتى البعيدة منهم أو نقضهم لعهود التحالف بينهم وبين القبائل المختلفة... فللقارئ لهذا المقال يُخيّل له بأن هاته القبائل تربّت فقط على القتل والدماء والفوضى ونقض العهد لا غير. ويذكر لاسبيناس أنّه بسبب هذه السلوكات جاء الفرنسيون إلى الجزائر لأجل محاربة الظلم والفوضى ولأجل الأمن والاستقرار؛ ويُبرر كلامه هذا بأنّه بمجرد أن قامت بلاده بأسر قائد قبائل بني هاشم خضعت إلى حكومة فرنسا.

نهدف من خلال مقالنا هذا إلى ترجمة مقال لاسبيناسو الكشف عن جزء بسيط في حقيقة ما كتبه عن هذه القبائل؛ وذلك بطرح الإشكالية الآتية: هل صحيح أن دراسة لاسبيناس تعكس ما كان يزعمه في قبائل بني هاشم؟ وهل حققت أهدافها المنشودة؟ وهل يمكن لنا كباحثين ودارسين أن نثق في هذه الكتابات وأن نعتد عليها في دراساتنا الأكاديمية؟ وقد اعتمدنا في منهجنا على أسس وقواعد الترجمة المتفق عليها في مثل هذه النصوص ، بُغية الوصول إلى النتائج المرجوة في الكشف عن نص جديد حول قبائل بني هاشم. وقد أضفنا إلى النص المترجم عناوين صغيرة لفقراته المتنوعة بمثابة أفكار عامة لضمائمها

## ترجمة المقال

### "ملحات حول قبائل هاشم بمعسكر"

#### 1- إقليم قبائل بني هاشم:

إن السهل الرائع الذي يُشكل إقليم قبائل هاشم بمعسكر؛ يعود الفضل إلى تسميته إلى ثراء زراعته الواسعة وإلى خصوبته الكبرى. غريس يعني إذا: خصب وصالح للزراعة. كان بهذا الإقليم في الماضي : الكثير من القرى وبعض المراكز السكانية الجد هامة؛ مثل تجمع عين فكان الذي بنّاه يعلى الإفريني والذي احتفظ بحالة رخاء وتطور ثابتة لأكثر من قرن ، بفضل الاندفاعات الجيّدة التي نجح مؤسسه في تقديمها إليه ، وتجمع تيقلمامين الواقع في القسم العلوي لواد الحمام ، وتجمع بونعاما الذي كان يتواجد قرب حدائق بن يخلف، ومدينة كرسوط الجد معروفة في تلك الفترة.

<sup>1</sup>E. Lespinasse, NOTICE SUR LE HACHEM DE MASCARA, Revue Africaine, A. JOURDAN, LIBRAIRE-EDITEUR, volume 21, ALGER, 1877, pp.141-151.

بشأن القرى روى المؤرخ أبي راس الناصري في كتبه بأن عددها كان ستون قرية في المنطقة الممتدة من جبل كرسوط إلى غاية واد تاغية.

## 2- أصل قبائل بني هاشم:

انحدر الهاشمي من بني محمد ؛ الذين كانوا يُشكلون إحدى قبائل زناتة . بنو محمد هؤلاء كانوا مُتحالفين مع قبيلة بني بدين بن محمد ، والذين انقسموا إلى فرعين رئيسيين هما : فرع بادين وفرع راشد. كان لبادين أربعة أبناء وهم: عبد الواحد، طوجين، برزال ومصعب. أسس الابن الأول قبيلة بني زيان التي حكمت تلمسان ؛ وأسس الثاني قبيلة بنو عبد القوى التي حكمت بلقب الأمير في تاقدمت وكان راشد مؤسس اتحاد قبائل هاشم الذي انقسم إلى ثلاثة أقسام هامة وهي: بني يعلومة وبني وامانوبني واسين ؛ وهي الأقسام التي تجمعت في منطقة عُرفت في القديم باسم بلاد راشد (على اسم مؤسسها) والتي تُسمى حاليا جبل عمور<sup>2</sup>.

## 3- محطات تاريخية لقبائل بني هاشم:

### أ- مع بني زيان:

لقد غزا العرب غرب أوسط الجزائر نحو القرن 5 الهجري الموافق للقرن 12 للميلاد ؛ وبعد قيامهم ببعض الغارات داخل تونس التي كانت تحكمها عشيرة العبيديين ، ووصلوا إلى غاية بجاية التي كانت تحت حكم أحد أمراء هذه العائلة الحاكمة وهو منصور بن الأنس بن حماد ، ليواصلوا تقدمهم نحو الشرق وبعدما تاهوا بعض من الوقت في المغامرة؛ وبقرارهم الحازم بعدم الاستقرار سوى في بلاد غنية بالموارد، وصلوا إلى جبل راشد الذي أقاموا به بشكل رسمي ، مُرغمين على الفرار وترك بلادهم بعد فترة زمنية.

وبعد مُقاومتهم العنيدة لخصومهم ؛ لجأ أبناء راشد إلى مناطق التل المتوسطي وتنضدوا به ابتداء من قصال إلى غاية معسكرات بني أورنيد الذين كانوا حلفائهم بدرجات متباعدة ، وهي المعسكرات التي احتلت الجزء الصحراوي من إقليم جنوب تلمسان.

لقد ظهرت مشاكل كبيرة بينهم وبين جيرانهم بني عامر ؛ الذين كانوا يحتلون هذا القسم من الصحراء الذي يحد منطقة الكثبان ، التي كان لهم بها عددا من القصور مثل قصر الشلالة وقصر بوسمغون.

إنّ سكان قبائل هاشم بعدما هزمهم غادروا معسكرهم ، وتوجهوا للاستقرار داخل إقليم الحساسنة؛ إلا أنّ هؤلاء قد وَحَدُوا جهودهم لإبعاد العدو وحاربوهم لمدة 10 سنوات، وهي المدة التي قررت مصير بني هاشم بعد غزوهم إقليم الجعافرة وأولاد خالد والحساسنة بالعودة إلى منطقة غريس نحو نهاية القرن 8 الهجري الموافق للقرن 15م.

<sup>2</sup> Ibid, pp.141-142.

لقد أصبحوا خاضعين مرة ثانية لتبعية بني زيان؛ كما كان أجدادهم تحت حكم يغمراسن الملك الثاني للقبيلة الحاكمة السّالفة الذّكر ، والتي ألزمتهم بتقديم إعانات إلى الموحدون الذين كانوا يحكمون حينها بلاد المغرب الأقصى.

إنّ سكان قبائل هاشم بطموحهم الاستقرار النهائي في بلادهم الأصلية؛ قد انقسموا وتجمعوا بعدد من النقاط مثل وادي البنيان، نسمط، وادي العبد ومناطق مجاورة.

حسب الرواية الجد موثوق بها كان السكان الأصليين لغريس بني زروال؛ قسم من مغراوة الذين كانوا يُشكلون فرعا من اتحاد القبائل الزناجية المعروفة عند القدامى بالماسيليين والمسايسيليين.

إنّ قبائل هاشم بعدما اكتسبت شهرة كبيرة؛ قدّم لها ملك المغرب عبد المؤمن من العائلة الحاكمة للموحدين أراضي واستخدمهم لمصلحته ، على غرار سالفه يوسف بن تاشفين وهو أحد أفراد قبيلة لمتونية؛ هذا الأخير كان قد نصّب مقرقوته في تلمسان والتي أسس بها مُلازمة عامة والتي حولها إلى محمد بن تامر؛ بتعيين الكثير من فروع قبائل هاشم كمُلازمين لتكوين مخزنه.

لقد استجاب كل سكان قبائل هاشم إلى نداء بن تاشفين وقَدِموا زُمرا ، ونَمَّ النَّجاح بواسطتهم في تأسيس مخزن طلائعي من جهة ، فذاكرتهم قد خُلِدَت في تلمسان من خلال أحد أحيائهم الرئيسية للمدينة والذي يحمل اسمهم ، وإن مجد أصلهم وشهرتهم لا يزالان متواجداً بالإقليم الوهراني وما خَلَفَهُ بعد استقرارهم القوي في إقليم غريس.

استمر سكان قبيلة هاشم في ممارسة نظامهم للدّحر بمهاجمة بني زروال الذين أُجبروا على الفرار بتقلصهم إلى الحد الأقصى ، ليتوجهوا قصد الاستقرار إلى راس الماء والتي طُردوا منها أيضا من قبل أعدائهم؛ ليَتوجه التّعباء المضطهدين للثبات في المنطقة التي لم يغادروها منذ تلك الفترة والتي عُرفت باسم نفس القبيلة.

بِتَفَتَتهم وهزيمتهم أُرغموا على تحمل نير هازمهم والاكتفاء بالإقليم الذي سُمح لهم بالاستقرار فيه. وبعد استقرارهم النهائي في منطقة غريس؛ شكل سكان قبيلة هاشم جزء من مملكة بني زيان التي كانت عاصمتها تلمسان، وبقوا على هذه الحالة إلى غاية اليوم الذي وضع الاحتلال التركي بالجزائر مكانا للاحتلال الفرنسي.

وبعد بلوغهم ذروة عظمتهم وقوتهم؛ ظهرت بعض الأحقاد والمكائد والسيلم تتوانى في زرع الفتنة والانشقاق بين مختلف الأحزاب والطوائف وأدت إلى تشتت الكثير من القبائل.

هذه الخلافات الداخلية جعلت القبائل الأربعة أو الفروع الكبرى التي ذُكرت أسماؤها بالهجرة وهي: بني واسين إلى ضواحي تلمسان ، وبنجاد قرب لالة مغنية التي استقروا بها ، وبني معلومة المعروفين أكثر باسم أعلمة استقروا بمنداس أين انضموا إلى فليّة سويد ، واستقرت القبيلة الرابعة في إقليم

مجاعة أين كونت مخزن المقراني الباش أغا السابق؛ وهو المخزن الذي أصبح مع الأسف جد مشهور ضمن أحداث تمرد سنة 1871 والتي لم تتوقف عن احتلاله. أما بشأن القبائل التي بقيت سائدة على البلد؛ واصلت في إقرار أعمال مشينة وأفعال مزعجة للاستيلاء بالقوة على إقليم كانت مستقرة به قبائل بني سلوقسن وبني خراسان والتي أرغمت على الفرار إلى جبال شديدة الانحدار.

بعد الاعتراف بهذا الغزو الجديد من قبل حكومة بني زيان؛ أضحت قوة قبائل هاشم مُساوية لقوة بني عامر وشكلت القبيلتان الكبيرتان مخزنا طلائعيا للعائلة الحاكمة<sup>3</sup>.

#### ب- مع الأتراك:

إن دخول الإسبان إلى وهران ومزغران والذي شجعه بني عامر؛ لم تكن أهميته تزداد إلا بمجيء السيطرة التركية نحو سنة 936 هجرية ( 1530 ميلادي). لقد عرف الإسبان كيف يستغلون بمهارة موقعهم الملائم، بعلمهم علم اليقين أن الأتراك لن يكون بإمكانهم تجاوزه. لم كانوا يريدون إبعاد الإجتياح الإسباني؛ أيضا لم يعلنوا خضوعهم إلى هذه الحكومة الجديدة إلا بعد الحصول على إمتياز التنازل للعديد من الأراضي مثل أراضي سيق والهبرة مع كامل الرسوم والديون التي تربت عنها. بإغراقهم بالأوسمة الشرفية والثروات وببلوغهم قمة عظمتهم.

إن سكان قبائل هاشم استعملوا الحيل والإيهام بخضوعهم إلى الأتراك؛ وخيانتهم شيئا فشيئا حسبما كان الخضوع والخيانة متوافقان مع مصالحهم. على أثر قوة الإسبان التي أصبحت معتبرة وموقف قبيلة هاشم الذي لم يبعث بالقلق؛ احتل الأتراك القلعة لأجل هزم الأوائل (الإسبان) ومستغانم من أجل صد قبيلة هاشم.

نحو نهاية القرن 11 الهجري (نهاية القرن 18 للميلاد) أصبح سكان قبيلة هاشم أكثر تهديدا لجيرانهم السويد الجد معروفين باسم محال، الذين كانوا مُحرضين ضدهم من قبل الأتراك. وبعد مهاجمتهم والإغارة عليهم في العديد من المرات؛ أ برم المحال معاهدة والتي بموجبها مثل واد يلل الحد الفاصل بينهم وبين المنتصرين؛ إلا أنهم هزموا هزيمة نكراء في حربهم التي قاموا بها للعديد من السنوات ضد جيرانهم (الشريهين).

إن الهدنة التي خُصت لهم بناءً على المعاهدة المذكورة لم تكن طويلة الأمد؛ بحيث أن الأتراك قاموا بالعديد من الغارات داخل إقليم هذه القبيلة ال تعيسة ونجحوا في إبعادها إلى غاية هضاب سرسو، بإحساسهم من جهة أخرى أنهم جد أقوياء لكي يتمكنوا من التصرف حسب هواهم؛ خان سكان قبائل هاشم الأتراك لأجل الخضوع إلى سلطان المغرب مولاي إسماعيل.

<sup>3</sup> Ibid, pp.142-144.

لقد وضع هذا الأخير عددا كبيرا من المفارز بدائرة وجب تحركها فيها ؛ كانت في البداية جد محدودة. لقد جمعهم حينها في إيسلي قرب وجدة ودخل في معركة مع الأنجاد بهذا الموقع ،والذين تحداهم كلية وأصبح سيدهم بكل سهولة.

لقد كان يرغب مولاي إسماعيل في محاولة الإستيلاء على أوجاق الجزائر وطرده الأتراك؛ فشجع بني عامروسكان قبائل هاشم توجّهات السلطان بالإننتاج الماكر ليُمار هذه المبادرة.

إن مولاي إسماعيل المُشجّع بالاحتجاجات الجيدة لولاء هاتين القبيلتين الكبيرتين؛ كان قد خرج مُسبقا من تلمسان بنية حازمة لتنفيذ مشروعه الواسع ، وباتجاهه نحو الشرق عبر حقل زيتون صبيح.

لما تلقى بني عامر وقبائل هاشم والسويد من الأتراك العديد من الرسائل ؛ أمّرين إيّاهم بالخضوع وتوحيد قواهم معهم من أجل إبعاد سلطان المغرب. فكان سكان قبيلة هاشم أول من استجاب لنداء الأتراك وخانوا السلطان مُسببين له الكثير من الخسائر وأجبروه على الفرار وطارده إلى غاية تلمسان من دون وقف عمليات النهب وقتل كل من يلقونهم في طريقهم.

لقد إرتبطت قبائل هاشم منذ ذلك الوقت بمصائر الأتراك الذين أعطَ وهم أراضي جديدة كتعويض، وأبرمت معاهدة سلم بين السلطان مولاي إسماعيل وباشا مدينة الجزائر نصّت على أن يُشكل واد التافنة حدا فاصلا بين الدولتين.

لما تمت المصادقة على بنود هذه الاتفاقية؛ سعى الأتراك بعد طردهم للإسبان من مزغران إلى الاخضاع الكلي لقبائل هاشم؛ إلا أنّ الكُل منهم أبعد بقوة الشروط التي أريد فرضها عليهم؛ وأنّ المقاومة التي أعلنوها ضدهم ولدت انشقاقات جديدة التي تحولت إلى صراعات دموية وعنيفة. كذلك كانت الحالة في عام 1218 هجري (1804 ميلادي) لما ظهر الشريف باسم سي عبد القادر بن شريف؛ الذي تنقل على رأس جناح إلى بوفرطاسة ، وهناك حدثت مواجهة بينه وبين الباي مصطفى هذا الأخير الذي هُزم وأُرغم على الانسحاب إلى مدينة وهران ، فالشريف المتجراً بالنجاح غادر فرطاسة وحل بمنطقة التل القريب من وهران، ليحصل على خضوع كافة قبائل هذه المنطقة وقبيلة بني عامر التي من دون مساعدتها لن يبدو نجاح أي مشروع ؛ كما لو أنّ القدر كان بشكل ما كتب بعض الأعمال الهامة التي استدعى الإتحادين للمشاركة فيها.

إنّ الباي محمد المقلش لما بلغه هذا النبأ انطلق من مدينة الجزائر إلى مدينة وهران بحرا وأشرف على قيادة جناح عند نزوله، وسار باتجاه الشريف لمهزمه كلية، هذا الأخير المرغم على الفرار إلى معسكر ليلجأ بها والتي ترك بها ملازما، لكنّه وجد قبائل مترددة وفريسة ارتباكات غريبة.

إنّ الباي وبوصوله إلى غاية سهل غريس عند ملاحقته للفارين، انضمت إليه قبائل هاشم المرتبكة بوجود قوات الأتراك وحاربوا الشريف بضراوة ببوعقيقن.

لقد خضعت حينها قبائل هاشم إلى الأتراك بشكل نهائي إضافة إلى بني عامر ؛ وبقيت القبيلتان على هذا الحالة ، وهي الفترة التي كانت فترة رخاء بالنسبة لهم إلى غاية مجيء الباي محمد المكني بلتيقابوس الذي خلقوا له الكثير من الصعوبات هو الذي أجبر على الحرب بشكل شبه مستمر مع القبائل المذكورة لمحاربة الأعمال العدوانية النظامية التي وجدها عندهم.

بعدما أخذت الخسائر التي تكبدها الطرفان نصائبها، وفي الظرف الزمني الذي تحرك فيه أولياء الله الصالحين، قرروا التدخل واستعمال نفوذهم المعنوي من أجل وضع قبائل هاشم قيد الالتزام وإنهاء فاجعة الحرب التي كانت قد زرعت الدمار والحسرة داخل كامل البلاد ؛ بدعوتهم للخضوع من قبل أولياء الله الصالحين . انتهوا بالاستسلام لليسود الأمن والهدوء إلى غاية مجيء آخر باي بمدينة وهران وهو حسان.

استعمل الباي حسان الحيلة مع قبائل هاشم بعد موقفهم المرتاب اتجاه الحكومة ؛ بحيث اتجه إلى معسكر من دون إطلاع أي شخص على مساره، فاستقر بعواجة (بالقسم السفلي للمدينة الواقع في الجنوب الغربي)، وجمع بها عدد من أعيان قبائل هاشم والدواوير، وقد أعَدَم بعد الاختلاف معهم إحدى عشر من قادتهم الهامين (سنة 1241 هجري الموافق لـ 1826 ميلادي).

لقد قاطعت القبائل في العام الموالي المعاهدة التي كانوا قد أبرموها مع أوجاق..... على أثر الإعدام الذي قام به الباي بنفسه، واعترفوا باين تجيني كقائد عليهم واستقروا بعواجة ذاتها. وعند بلوغ الباي هذا النبأ تحرك لدى الأعيان ذوو النفوذ على قبائل هاشم ، والذين بتوصلهم بالوعود الذي وعدوا بها، قرروا خيانة قائدهم الجديد الذي تركوه وحيدا رفقة فرقة قليلة من المشاة.

لقد اتجه سكان قبائل هاشم لآخر مرة إلى الأتراك وبقوا خاضعين إليهم إلى غاية سقوط أوجاق .....، ثم تحالفوا في آخر المطاف مع عدد من القبائل مثل التزارة، السواحل، بني عامر مهتمين بتعاليمهم المعتبرة في نظرهم ومهتمين بمجدهم وقوتهم : أما فيما يخص إقليم غريس الواسع، فإنه أصبح ملكيتهم بالكامل بحسبان الجزأ الذي كان باقي لبني زروال وقد إشتروه منهم إما بالرضا أو بالقوة وما استقر عليه هو أن الجزأ الآخر كان يمثل حصة مختلف المجموعات التي تنازلت لهم عنه، إما من قبل قادة قبيلة بني زيان أو من قبل بايات الحكومة التركية.

لقد حدثت مع ذلك صراعات وجب أن تضاد أولاد سليمان وهم قسم من قبيلة بني عامر : إن المؤرخ الشهير ابن خلدون الذي كان أحد أكبر علماء قرنه، تحدث عن بني طوجين في تاريخه المفصل للزناتة، وأشار إلى بني تيريرين وأولاد عزور المشكلين لجزأ من بني طوجين كأنهم كانوا معروفين باسم عام هاشم، وأضاف بأنه كان لديهم قائد يُسمى عمران ذو التاريخ اللاحق غير محدد، والذي انحدر عنه عددا كبيرا من القبائل مثل الزلالطة أولاد رحو، أولاد زينب<sup>4</sup>.

<sup>4</sup> Ibid, pp.144-148.

### ج-مع الفرنسيون:

لما حلت السيطرة الفرنسية محل السيطرة التركية داخل الدويلات الجزائرية، سقطت قبائل هاشم في فوضى كاملة وقد حدث غليان كبير عندها. إن الأحداث الجديدة التي ظهرت على أثر الاحتلال الفرنسي، قد هيّجت العقول إلى درجة اتجهت فيها لإنذار مدينة معسكر قصد تسليمهم كل ما تركه الأتراك في هذه المنطقة ؛ قوات، خيول، بارود... الخ. لقد رفض سكان معسكر بكل وضوح الانصياع لمثل هذه المطالب، فاجتاح سكان قبائل هاشم غيظ شديد فهاجموا في العمق كل ضواحي المدينة ودمروا في نفس الوقت المالكين، الخماسين وشركائهم، وذهبوا إلى غاية اقتراف احتياجات أمام أسوار المدينة. إن السكان الغائضين أمام مثل هذه التجاوزات انتفضوا جماعيا ؛ وساروا بلبتجاه قبائل هاشم بعد جعلهم يحلفون بلا جدوى بما هو مقدس لديهم، بوقف عملياتهم التخريبية. لقد استمرت الحرب بين هاتين الساكنتين لمدة تُقارب الأربع سنوات رغم كافة الجهود التي بذلها أولياء الله الصالحين مثل الشيخ محي الدين بن مختار، الشيخ محمد بن الخثير المهاجي، الشيخ محي الدين الخلوي، الشيخ محمد لعرج بن فريحة والشيخ محمد بن الهاشمي ؛ من أجل إرجاع قبائل هاشم إلى طريق الخير والواجب ؛ فهؤلاء المجانين لم يرغبوا في التصنت لأي شيء، واستوجب حينها ظرف جد استثنائي من أجل إنهاء تهمهم . لقد جاء بهذا الظرف بناء على التماس وجهه سكان تلمسان إلى السلطان سليمان لأجل أن يكونوا تحت حكم أحد أفراد عائلتهم والذي يكون أهلا لجعل العامة تستلهم الثقة.

لقد أرسل إليهم السلطان ابنهم مولاي علي، الذي أعلن له سكان قبائل هاشم تحت حث أولياءهم الصالحين خضوعهم له واعترفوا بسلطة الحاكم الجديد التلمساني الذي عين قائد لقيادة معسكر والذي سمي بأحمد أمجوت في ظرف خمسة أشهر.

تجاهل سكان قبائل هاشم سلطة هذا القائد الذي اضطر للجوء لدى حاكم تلمسان الذي تم تجاهل سلطتهم أيضا من قبل سكان المدينة وقبيلة بني عامر؛ وبتواجد مثل هذا الاضطراب والفوضى اضطر الحاكم الذي انتبته اليأس إلى الفرار بدوره وترك البلاد لحالها.

إن الفوضى الجد كاملة التي انتشرت من جديد عند قبائل هاشم، هؤلاء الذي ن أفنتهم الاضطرابات والصراعات الداخلية ؛ لجأوا من جديد إلى سلطان المغرب الذي أرسل إليهم المسعى بلعمري ليحكمهم تحت لواءه ، إلا أن هذا الأخير لم يتمكن من البقاء مطولا حتى حدث تمرد وعصيان جديدين أدّى إلى زرع فوضى عارمة عند سكان قبائل هاشم.

إن أكبر أولياء الله الصالحين بحزهم للفوضى التي كانت فريستها بشكل مستمر تقريبا مختلف قبائل هاشم على مر كل هذه الأحداث التي تعاقبت بسرعة ؛ قرروا اتخاذ إجراءات قوية لأجل إنهاء

حالة جد متعفنة ، وأن الاهتمام بإعادة ترتيب العناصر المشتتة قد كُلف به الشيخ محي الدين. هذا الأخير بعدما شعر بعدم القدرة على استعمال كل القوة التي يتطلبها الظرف، تنحى عن هذا الشرف ليُلقيَه إلى ابنه عبد القادر الذي بدا لهم أنه أهل للقيام بمهمة جد هامة تحت كافة الارتبطات. لقد اجتمع الطلبة (حفظة كتاب الله)، أولياء الله الصالحين والأعيان في العموم بخصيبيية (سان اوندري) وهي القرية الواقعة في الجنوب الغربي لمعسكر على بعد 2 كلم من هذه المدينة وعلى مشارف طريق سعيدة، وبايعوا علنا عبد القادر أميرا للمؤمنين في 28 سبتمبر 1832. وفي الغد دخل إلى مدينة معسكر مع تحية كل من وجده في طريقه وتم استقباله بحيوية من قبل كافة السكان، الذين رءوا فيه المحرر الذي اختاره الله تعالى لتطهير البلاد من كل النكبات التي كانت تكبلها.

بعدما اعترف عدد من القبائل العربية؛ ومنهم قبائل هاشم بسيادته، تواجد عبد القادر مباشرة على رأس مملكة عربية حقيقية، التي نجح في تأسيسها على القواعد الجيدة معتمدا على عناصر ممتازة من سكان قبائل هاشم، وكانت له الموهبة والحنكة في ضمان ولاء الأعيان بتحالفه مع الرئيسين منهم؛ والذي أغدق عليهم بالهدايا والأوسمة الشرفية في الأوقات المناسبة، كذلك أصبح سيّدا للقبائل بكل سهولة وهي القبائل التي أبدت التردد.

إنّ أحد الرجال من بين آخرين يُسمى موسى درقاوي؛ قد قاد في أحد الأيام حركة تمردية ضد الأمير، هذا الأخير الذي انتقل إلى المدينة التي كانت موطن الثورة بفرقة نظامية وقد تحدى كلية قائد المتمردين.

إنّ هذا النجاح الأخير بعدما جاء ليتوج مجده، تقدم لأمر الناحية الشرقية ليحصل تتاليا على خضوع مختلف القبائل التي مربها؛ وباستثناء قبائل ونوغة ولمناطق واد الزيتون الذي أرغم على إخضاعها بالقوة، لقد انقض على هذه القبائل المتمردة على رأس خيرة الفرقة التي تألفت حصريا من سكان قبائل هاشم ودَحَرهم ونجح في إخضاعهم عن آخرهم.

كان قد وصل إلى ذروة عظمته وقوته لما استولى الإسبان على مدينة وهران؛ إنّ أغلبية سكان هذه المنطقة هربوا، اتبعوا الأمير ومواليه من قبائل هاشم الذين لم يقبلوا بالانفصال عن قائدهم سوى في اليوم الذي سقط فيه قائده أسيرا، ليدخلوا حينها إلى بلدهم وأعلنوا خضوعهم إلى الحكومة الفرنسية.<sup>5</sup>

<sup>5</sup> Ibid, pp.148-151.

أ لاسبيناس

مترجم الجيش

خاتمة:

وفي نهاية مقالنا هذا والذي اكتفين فيه بترجمة لمقال لاسبيناس كما أورده بالمجلة الإفريقية دون زيادة أو نقصان؛ نجد أنه قدّم لنا لمحات مغلوبة عن قبائل بني هاشم بمعسكر، هذه اللوحات نراها أنّها غير بريئة وغير صافية النوايا والمقاصد لما تضمنته من أفكار وتصورات مُزيّفة عن هذه القبائل، كما ننبه أنّ هذا المنهج سارت عليه كثير من الكتابات الفرنسية خلال هذه الفترة، لتكون كتاباتهم وسيلة لزرع التفرقة والفتن حتى تكرر هيمنة الاستعمار على الجزائر وتحقق مشاريعه وأهدافه ؛ وفي مقابل هذا ليس عيبا أن نأخذ منها، لكن يجب أن نحتاط بالحدز والتحقيق حتى لا نُدرس الغلط والتحريف في ماضينا وتاريخنا ونورثه لأبنائنا وأجيالنا القادمة.

المراجع:

- E. Lespinasse, NOTICE SUR LE HACHEM DE MASCARA, Revue Africaine, A.JOURDAN, LIBRAIRE-EDITEUR, volume 21, ALGER, 1877.